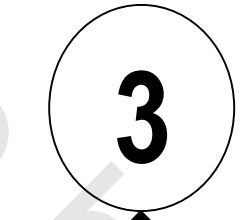

الفصل الثالث

أبرز جهود العالِم
(إيمونز Emmons)
في الذكاء الروحي

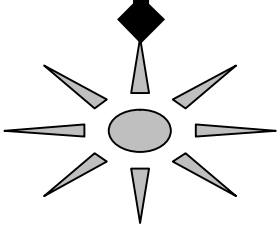

obeikandl.com

obeikandl.com

أبرز جهود (إيمونز Emmons) في الذكاء الروحي):

منذ أن بدأ معرفة معامل الذكاء (I.Q) تعودت المنظمات والأفراد على استخدامه كمعيار لذكاء الأفراد أو التنبؤ بمستوى نجاحهم حيث كان معامل الذكاء يمثل منهجاً لقياس الذكاء الثقافي والعقلي يستخدم لمعالجة مشكلات منطقية أو إستراتيجية، ومن ثم فقد تعددت المهام والمواقف التي تتطلب استخدام مقاييس معامل الذكاء على مستوى واسع في عمليات تقييم الأفراد لأغراض مختلفة.

إلا أن فكرة اختبارات معامل الذكاء (I.Q) لم تستطع الصمود طويلاً، فقد كان هناك عديد من الأفراد الذين يتمتعون بمواهب لا تعد ولا تحصي، ويفشلون في اختبارات معامل الذكاء، رغم نجاحهم الكبير والمميز في الحياة (Lalith, 2001)، ومن هنا أطلق (جاردنر) (Gardner, 1983) مشروعاً تحت عنوان " المشروع: الطيف" يهدف إلى توسيع الفكر حول المواهب التي يمتلكها الأفراد، والذي يرى فيه أن تربية الأطفال لابد وأن تنطلق من خلال الموهبة التي يتميز بها الطفل عن الآخرين، ويتمكن من النجاح خلالها. وأن تقييم الأشخاص لا يجب أن يتم طبقاً لذلك المعيار الضيق للنجاح، ولكن لابد من أن ينطلق خلال تمييز كفاءاتهم الطبيعية ومواهبهم التي تزرع لهم مئات الطرق من النجاح.

ومن ثم نهج (جاردنر) منهجاً مختلفاً عما سلكه الباحثون في الذكاء حيث طرح في كتابه "أطر العقل" (Frames of Mind) نظريته عن الذكاءات الإنسانية السبعة.

ومن تحت عباءة هذه النظرية تمكن (إيمونز) من تقديم نوع جديد من الذكاءات اعترف (جاردنر) بإضافته لقائمة ذكاءاته وهو الذكاء الروحي Spiritual intelligence والذي ترى فيه (زوهار ومارشال) (Zohar & Marshall, 2000) إنه الذكاء الاسمي والذي نستطيع به حل مشاكل المعنى والقيمة (الكيف والكم)، والذي يمكن أن تكون به أفعالنا وحياتنا في أغني وأوسع سياق لإعطاء معاني وقيم والذي يمكن معه وضع خطة عمل واضحة ورسم طريق جلي للحياة.

فمنذ صمم الفرنسي (ألفريد بينت) وزميله (ثيودور سايمون) (Alfred Binet & Theodore Simon) الاختبارات الأولى للذكاء في بداية القرن العشرين، استعملت مقاييس معامل الذكاءات على مستوى واسع، حيث أصبح الاعتقاد السائد في الأذهان أن الذين يحرزون المستوى العالي في هذه المقاييس هم أصحاب النجاحات الحقيقية في الحياة، ومن ثم فقد استخدمت هذه المقاييس في تقييم الأطفال في المدارس وفي التجنيد للجيش، واختبار الموظفين، وتحديد المستويات الإدارية في المؤسسات الصناعية وغيرها. لكن فكرة الإيمان بقدرة هذه المقاييس على التنبؤ بنجاح الأفراد لم تصمد طويلاً؛ فقد وجه لها العديد من الانتقادات في خلال الأعوام الأخيرة من القرن الماضي، فيرى (ديترمان) (Detterman, 1997) أن هناك عدم توازن بين طرق البحث في الفروق الفردية بالمقاييس المستخدمة في قياس معامل الذكاء (I.Q) وبين النواميس الطبيعية والمنطقية.

ويؤكد (جولمان) (Golman, 1995) أن أحد الأمور المعروفة في علم النفس القصور النسبي في مقاييس الذكاء (I.Q) أو مقاييس المهارات الدراسية على الرغم من شيوعها حيث تعجز عن التنبؤ جون خطأ بما سيحاف الفرد من نجاح في الحياة.

وأشار (Gemovsky, 1997) إلى أنه بالرغم من وجود ضعف واضح في الأساس العلمي لقياس الذكاء بأسلوب معامل الذكاء (IQ) إلا أن علماء النفس مستمرون في ممارسة ذلك مما يتسبب في خسارة فادحة للأفراد والمجموعات الذين يتم تصنيفهم على أنهم أقل ذكاء من خلال الاختبارات النفسية.

وناقش (ستيرنبرج) (Sternberg, 1999) فكرة الذكاء كتكيف مع البيئة ورأى أن مقاييس الذكاء المعتمدة على عمليات عقلية محددة غير كافية، وتناول ستيرنبرج من خلال فكرة الذكاء الناجح (Successful intelligence) تضمينات تحليلية وإبداعية وتطبيقية انطلاقاً من أن مفهوم الذكاء هو القدرة على تحقيق النجاح في الحياة ومن ثم فإنه يعطي الفرد معاييره الشخصية ضمن إطار اجتماعي وثقافي.

وأوضح (Klin, 1999) أن الكثير من المقاييس الحالية أصبحت ضعيفة بسبب التكوين الغامض لها، وأن ما يقاس بها غير صحيح.

وكما ذكرنا سابقاً؛ فقد قدم (جاردنر Gardner) أفكاره عن النشاط العقلي والتي تمخضت عنها نظرية الذكاءات المتعددة (Multiple Intelligence Theory) حيث أشار إلى أفول أيام مجد اختبارات معامل الذكاء (I.Q) والتي بدأت أثناء الحرب العالمية الأولى عندما تم ترتيب مليون أمريكي من خلال ورقة وقلم رصاص يمثلان اختبار معامل الذكاء، والذي طوره (لويس ترمان) في (ستانفورد) وأدى إلى ما أسماه (جاردنر) "طريقة تفكير معامل الذكاء" حيث الناس إما أذكاء أو ليسوا أذكياء استناداً إلى فكرة نوع واحد من الكفاءة تقرر مستقبل الشخص وبالتالي تحدد أسلوب تفكير المجتمع بالكامل.

وعليه فقد قدم (جاردنر) (Gardner, 1983) بياناً يدحض رؤية معامل الذكاء، ورأي أنه لا يوجد نوع واحد من الذكاء يحدد نجاح الفرد مدى حياته، ولكن هناك طيف عريض من الذكاءات يتحدد بسبعة أنواع رئيسية قابلة للاتساع. وقد لاقت نظرية (جاردنر) ولازالت استحساناً واهتماماً من الباحثين في الفترة الأخيرة حيث يرى:

- إن الذكاء العام (g) المقاس من خلال الاتجاه التقليدي لا يعطي كل جوانب الذكاء، كما أنه يجعل الذكاء غير مرن، أما نظريته فترى أن الذكاء أكثر مرونة وقابلية للفهم والإضافة، فالذكاء المتعدد يعطي مساحة أكبر لظهور الذكاء الحقيقي.
- إن اختبارات الذكاء التقليدية تشمل على مواد وقيود ليست ذات صلة بالفرد وغير مألوفة من ناحية التصميم، في حين أن نظريته تقدم مجموعة من المقاييس العادلة التي تقيس الذكاء الحقيقي للفرد، وذلك من خلال مواد ثقافية مألوفة لديه (فكرة التقييم الأصيل Authentic assessment).
- إن القياس التقليدي يقوم بتقييم وتقدير مستوى الأفراد في نطاق أحادي ضيق لا يمنح المفحوص فرصة إبداء كل ما لديه من ذكاءات.
- ومن خلال نظرية (جاردنر) أكد (دانيال جولمان) (Daniel Golman, 1995) أهمية قياس الذكاء العاطفي (EQ) (Emotional Intelligence) كبديل لقياسات معامل الذكاء (IQ) والتي لا تعبر - من وجهة نظره - عن النجاح في الحياة والذي رأى أنه يتوقف على الذكاء العاطفي والذي يرتبط بالتعاطف والعلاقات الاجتماعية بزملاء العمل والرفاق والأبناء وجميع من يرتبط بهم الفرد بعلاقات سلوكية تأثراً وتأثيراً، كما أكد أن الذكاء العاطفي يساهم في النجاح الوظيفي للفرد ويضمن له النجاح في العمليات والعلاقات المهنية داخل العمل.

وآمن (جاردنر) (Gardner, 1995) على أهمية الذكاء العاطفي بل وأضاف أن إسهاماته في التنبؤ بالنجاح المهني أعلى من إسهامات الذكاء الأكاديمي، حيث يسهم الأخير بنسبة 20% تاركاً 80% للمتغيرات الأخرى وعلى رأسها الذكاء العاطفي.

وفي نفس الوقت الذي كانت تدور فيه رحى المعارك ضد معامل الذكاء التقليدي (IQ) كانت هناك إرهاصات أخرى تدور على ساحة علم النفس تمثلت في تساؤلات حول الروحانية والدين وعلاقتهما بعلم النفس وتفجرت هذه التساؤلات في اجتماعات جمعية الدولة للسيكولوجيين (APA) والتي خصصت عدد في مجلتها لموضوع (الدراسة العلمية للدين) وكان في طليعة التساؤلات:

- ما هو حاصل الذكاء الروحي؟
- وهل هناك فعلاً شيء يدعى الذكاء الروحي؟
- وهل يمكن أن تقيس حكمة الشخص بعد العقل الحاذق؟

وقد تصدى (روبرت أ. إيمونز) (Robert A. Emmons) للإجابة على بعض هذه التساؤلات من خلال محاولته لتطوير بعض معايير (جاردنر) في نظريته عن الذكاء الروحي (Spiritual Intelligence) حيث قدم (Emmons, 2000) مقالاً يوضح الروحانية كشكل من أشكال الذكاء. ودلل على ذلك بأن الروحانية مجموعة من القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من حل المشاكل، وتحقيق الأهداف في حياتهم اليومية، وحدد (Emmons) خمسة مكونات لما أسماه بالذكاء الروحي (Spiritual Intelligence) وهي:

1- القدرة على التسامي.
2- القدرة على الدخول في حالات روحية عالية من الوعي.
3- القدرة على استثمار الأنشطة اليومية، والأحداث والعلاقات مع الإحساس بما هو مقدس.
4- القدرة على استخدام المصادر الروحية في مواجهة المشاكل اليومية.
5- القدرة على الإندماج في سلوك الفضيلة (مثل التسامح، التعبير عن الاعتراف بالجميل، التواضع، إظهار العطف)، ودلل (Emmons) على رأيه بأن الروحانية تتضمن معاييراً للذكاء قام بعرضها، كما ناقش دليلاً للتضمنيات في دراسة الروحانية من خلال إطار الذكاء.

وقام (Gardner, 2000) بالتعليق على مقال (Emmons) معبراً عن اعتراضه على كون الروحانية نوعاً من أنواع الذكاء، إلا أنه رأي أن بعض هذه المظاهر من الروحانية التي ستنتقى عن الخبرة الظاهرة، والقيم وأنواع السلوك المرغوب فيها تعتبر خارج مجال الذكاء، لكنها لا تعبر عن نوع من الذكاء، وخلص إلى أن مشروع (Emmons) قد يكون مقبولاً كمبدأ إلا أنه يثير قضايا كثيرة وشائكة مثل (القدسية، حل المشكلة، قدرة التوحد الديني) وهي تستحق المزيد من البحث والتقصي.

وأعقبت (Kwillecki, 2000) استناداً إلى مقال (Emmons) بتقديم قائمة لتحليل الأديان حيث قام بوصف مقترح يفسر ويقدم نتائج الإيمان الشخصي من خلال دراسة تطبيقية على احتفال (Gladys Day) من خلال تفاصيل الحياة الدينية للأمريكيين من أصل أفريقي، وأتخذ من هذا الوصف شكلاً أمبريقياً لتدعيم صيغة الذكاء الروحي واستنتاج أن المكونات الأساسية للطقوس الدينية تحصل على درجات أعلى لتفسير ديناميكية النمو الروحي.

كما قدم (Mayer, 2000) تعليقاً على مقال (Emmons) دراسة ناقش فيها الروحانية ليس كنمط للذكاء الأسمى ولكن كوعي متسامي، وأضاف أن الوعي يتضمن:

1- الإيمان بوحدة العالم، وتسامي الوجود الشخصي.
2- الدخول الواعي في الحالات المتسامية.
3- استحضار ما هو مقدس في الأنشطة اليومية في العلاقات والأحداث.
4- بناء الوعي لرؤية المشاكل اليومية في محتوى الاهتمامات الكلية للحياة.
5- الرغبة في النشاط الروحي بطرق مختلفة ووسائل متعددة (مثل إظهار الصفح، الاعتراف بالجميل، التواضع، إظهار الشفقة أو العطف.

وأردف (Emmons, 2000) بتعليق تناول فيه التعليقات الثلاثة على مقالة (Gardner) و (Kwillecki) و (Mayer) ويوافق (Emmons) على التعليقات التي تثير قضايا هامة وتقدم جهداً أكبر ومع ذلك فهو يدافع عن تخمينه الذي ضمنه مجموعة من المهارات والقدرات المرتبطة بالروحانية والتي ترتبط بحل المشكلات اليومية.

دفاع (إيمونز):

ومن الملائم أن نعرض هنا تعليق إيمونز Emmons على المقالات الثلاثة والذي يقول فيه:

"من مطالعتي للتعليقات الثلاثة على مقالتي والتي تساءلت فيها "هل الروحانيات ذكاء؟"، تلقيت الإجابات التالية:

- لا ..... من (جاردنر Gardner).
- نعم ..... من (كويليكي Kwillecki).
- ربما ..... من (ماير Mayer).

وكان هدفي من كتابة المقالة إثارة الناس حول مدى صدق مفهوم "الذكاء الروحي"، وخلق ميدان حواري حول مكونات "الذكاء الروحي" وتضمين هذا المفهوم في علم النفس والدين وقرأت التعليقات بشئ من الرهبة، حيث كانت تلك غزوتي الأولية في المياه المجهولة للذكاء الروحي، لكن خوفي الأعظم كان أن تكون فكرتي قد ظهرت إما واضحة بشكل واضح، أو ساذجة بشكل سخيف، وقد أراحني أن الفكرة لم تظهر كحالة متطرفة.

لقد حظي هذا المشروع بتعبيرات مثل "أعتقد أنه موضوع مثير (لماير) أو "معقول ..... بشكل سامي .... ويستحق اختبار آخر" (لجاردنر) و "يستحق كثيراً من الثناء" لكويليكي).

إنني ممتن بشكل كبير لذلك الذي ضمنه المعلقون الثلاثة ردودهم، حيث وجدت في إجاباتهم تشجيعاً، تنويراً، حفزا.

إن رؤيتهم البصيرة ونظرتهم الثاقبة ونقدهم أوضح مساحات تتطلب منى توضيح عدد من النقاط التي طرحتها في مقالتي التي أشرت إليها، وبعد توضيحي على أي حال فسوف يرفعون قضايا هامة من أجل سعي حثيث لتجربة الربط بين الروحانية والتدين مع الذكاء ووظائف الحياة.

إن ما طرحته التساؤلات حول الذكاء والروحانية من خلال النظرة الثاقبة للعلماء الثلاثة الذين علقوا على المقال يمكن أن تثري حقل علم نفس الدين من خلال عطاء خلفياتهم وحقل خبرتهم (التربية، علم النفس المعرفي، علم نفس الشخصية، والدراسات الدينية) فليس غريباً عليهم تقديم موضوعات فريدة حول الذكاء الروحي. وسوف أتطرق لكل تعليق من التعليقات على حدة، مشيراً إلى الاتفاقات المحتملة عبر هذه المقالات، وقد لا تسمح لي المساحة المتاحة من الرد على كافة النقاط. لذلك فإنني أركز على الأجزاء المركزية التي تخدم قضية الروحانيات كذكاء.

(1) (ماير): ذكاء روحي أو وعي روحي Mayer: Spiritual Intelligence a Spiritual consciousness

لقد انشغل (ماير Mayer) مع زميلته (Salovey) منذ سنوات في تطوير مفهوم الذكاء العاطفي (Emotional (EI Intelligence، والذكاء العاطفي قدرة لإدراك وإظهار العاطفة، استيعاب العاطفة في الفكر، فهم وتبادل العاطفة، وتنظيم العاطفة داخل الذات ومع الآخرين (Mayer, Cacuso, Salovey, 1999) أن علماء النفس الذين يبحثون في العاطفة (لماير وسالوفي) لإقامتهما الدليل على العاطفة والعقل، ليس فقط لتوافقهما معاً، ولكن أيضاً لإثباتهما أن العاطفة ربما تيسر وظيفة الإدراك. إن عملهما في الذكاء العاطفي شجعني على إبداء تفكيري حول الدعامات الذهنية للذكاء الروحي، وبالجهد أصبح مفهوم الذكاء العاطفي شائعاً ومعروفاً على مدى السنوات القليلة الماضية ومطابقاً للمفهوم الأصلي في صياغته. وعلى أيه حال فإن (ماير) ورفاقه استمروا في العمل للوصول إلى معايير مناسبة ومقبولة في حقيقة الذكاء، وفي التطوير الإبداعي لأساسيات الذكاء العاطفي ومقاييسه.

وقد قمت بتقدير التحليل الحذر لـ (ماير) عن بناء الذكاء في تطوير البرامج البحثية لتصميم القياسات سواء للذكاء التقليدي أو العاطفي. وطبقاً لـ (ماير) فهناك ثلاثة معايير محددة يجب أن تتوفر ليتأكد الحكم على نوع الذكاء:

1- **أن الذكاء يجب أن يعكس قدرة عقلية وليس مجرد طريقة للسلوك ونحن لا نملك بعد وسيلة لقياس القدرة المرتبطة بالروحانية، ولكني بموافقة قوية مع (ماير) أرى أن مثل هذه المقاييس من الممكن أن تكون مستندة على الأداء.**
2- **أن الذكاء يجب أن يوضح مجموعة القدرات التي تتوافق داخلياً مع بعضها البعض بصورة معتدلة.**
3- **أن الذكاء يتطور مع العمر والخبرة منذ الطفولة وحتى سن الرشد.**

وقد بني (ماير) جدله حول فكرتنا استناداً إلى المعيارين الثاني والثالث من منطلق تطور السعة الروحية وتعلقها بالعمر.

ففي تعليقه قدم (ماير) سؤالاً هل من الأفضل أن يكون وصف ما عرضته "وعيا روحياً" أم "ذكاءً روحياً"، وقد استقي (ماير) تساؤله من تقليد عميق ضمن علم النفس الذي تحدث عن مفاهيم مثل "التنوير الروحي"، "إضاءة التحول الذاتي"، لقد اهتم (ماير) بالاحتمالات الروحية: "الوعي الكوني"، "الوعي الذاتي". فالذكاء الروحي لم يكن في نظره أكثر من "مشاعر روحانية" أو "وعي روحي".

إذا كان الذكاء الروحي لم يكن شيء أكثر من الروحانية، إذن فليس هناك شيء سوف يكتسب من الذكاء بلغة الابتهال. هل الذكاء الروحي ليس أكثر من الروحانية؟

لقد عرفت الذكاء الروحي كقدرة على الاستعمال الكيفي للمعلومات الروحانية في حل المشكلات اليومية وتحقيق الأهداف.

الروحانية هي إحاطة أكثر وأوسع وأكثر تركيزاً للبحث عما هو مقدس، أنها بحث عن الخبرة ذات المعنى "في" و "من" ذاتها. أما الذكاء فهو تطبيق مجموعة من الأدوات للوصول إلى ناتج أكثر، فاعلية، سعادة، وحياة ذات معنى أفضل.

الروحانية تحتم كيف تحتم "اكتمال المعنى" و "الذكاء الروحي" آليه لكيف يستطيع الناس أن يحسنوا قيمة حياتهم. أنه تطبيق لميادين المعرفة في حل مشاكل الحياة. الذكاء الروحي يتمثل كمساعد على الرفاهية بإيجابية كبيرة، أما البناء التكيفي حيث الروحانية وربما يكون موجباً أو سالباً ويتوقف ذلك على كيف تكون العلاقة الذاتية واضحة وحتمية.

وقد اقترح (جاردنر Gardner) في وصفه لسمات القادة الدينيين نفس المهارات التي أقترحها والتي ربما تقدم أحياناً بشكل غير ملائم وفي أسلوب خاطئ. و (ماير) أيضاً تساءل عن القدرات التي ضمنتها مقالتي كفضائل مثل المغفرة، الامتنان السريع، التواضع، الإشفاق، العطف، ومدى إمكانية انتمائها للشخصية بأشكال مختلفة وأساسية ككفاءات معرفية وقدرات.

ولقد أدرجت هذه المكونات في اقتراحي عن الذكاء الروحي. وعلى أي حال فإن الفضائل من الممكن أن تمارس كمهارات. ومن الممكن أن تدرب لتمثل مواقع أو قدرات من السهل تقويتها وتنميتها وليس غريباً أن الروحانيين في كل الأديان الرئيسية العالمية يرون عنصر الذكاء الروحي متضمناً في دياناتهم وفي القيم الروحية. ويتصف (في رأي) كعنصر جوهري أولي للذكاء الروحي ومتضمناً في الحياة الذكية. كما أنه يمتلك الصفات التي تهب الحياة الثرية (مثل يتخلى عن النظرة الحسود للأشياء الجميلة والاعتراف بالامتنان للهدايا التي يتسلمها بأسلوب أشبه بالحكمة).

وفي الحقيقة فإنه يتمثل في داخل نموذج لنتائج الذكاء الروحي حيث تصور (ماير)، (كاروسو)، و (سالوفي) (Mayer, Caruso & Salovry, 1999) في "نموذج مختلط" للذكاء من قدرات عقلية، استعدادات وميول، وسمات متضمنة في تصميم مجمع.

إن العمل المتميز في المستقبل التجريبي يتطلب تأكيداً على أن هذه السمات تشبه الأوصاف التي تنتمي للنموذج.

إن المناقشات المقنعة حول تلك التصورات أكدت أهمية الفضائل النموذجية وأخلاق الفضيلة ضمن فلسفة أخلاقية، وقد أكد (جاردنر) توصله لهذا التضمن أيضاً ورأى أنها ميدان نشط للنقاش (على الأقل الآن).

وحول قائمة مكونات الذكاء الروحي، ولو أنني أزعم بأن هذه الخصائص تقود غالباً للحياة والتأثير الذكي أنها ليست جزء لا يتجزأ من القدرات العقلية للذكاء.

وبالتأكيد فإن هناك الأفراد الذين لا تشكل القدرة على الغفران والفضائل الأخرى شيئاً ضرورياً لهم لتطوير كفاءات روحانية أخرى لديهم وليس لديهم اتجاهات تهتم بالدين أو الروحانية كميدان للخبرة. إن إزالة هذه المكونات يعتبر ميدان جدل كبير حيث يجعل للذكاء الروحي مجموعة من القدرات بدلاً من قبول للفضيلة.

(2) كويليكي Kwilecki: Spiritual Individual Relegation

في البداية لابد أن أقرر أنني مدين بقوة إلى (كويليكي) لتطبيق إطار عمل للذكاء الروحي في الحياة الذاتية الفردية في (يوم جلاديس) (Galdays Day) إن دراسة الحياة الذاتية قد أحرزت تقليداً مميزاً في حقلي، واشترطت (كويليكي) إبراز علم نفس الشخصية والتصوير الفلسفي عند ترحيبها بالملخص النظري لمقالتي. وهذا ليس مستغرباً فإنني أشجع اقتحام مكونات الذكاء الروحي لأبعاد نفسية أخرى والذي كان واضحاً في حياة (Galdays Day).

وما قدمته (كويليكي) مقال قوي من نظرية الذكاءات المتعددة لـ (جاردنر) (Gardner's Multiple intelligence theory) حيث استحضرت التجربة أن المستوى المنخفض من الذكاء في تخيل التمسك بالتقاليد لا ينعكس بالضرورة على المستوى العالي من الوظائف في مساحات أخرى من العقل.

وأنا أيضاً أقدر تصور (كويليكي) الواضح عن الروحانية "كعبادة لقوة سامية باعتقاد يفوق العقل".

والروحانية الشخصية تعد تعبيراً عن اعتقاد تقليدي إنساني شامل. ومن خلال استمرار السيكولوجيين في مناقشة معاني الروحانية والديانات تذكرنا (كويليكي) بأن هناك كثير من النتائج التي يمكن أن تكتسب من خلال الحوار والمناقشة مع زملائنا من المتخصصين في الدراسات الدينية وعلم اللاهوت وأذكر أيضاً أن الذكاء هو مفهوم لاهوتي رئيسي في بعض المناسبات الدينية (مثل يوم القديس الأخير Latter Day Saint).

وعموماً فإنه لم يكن من المتوقع بشكل ضروري أن يحصل الذكاء الروحي على نصيب الأسد من التباينات في سلوكيات (يوم جلاديس)، وعلى أي حال فإن التنبؤ والتفسير يتطلبان مستويات متعددة من التحليل وكمثال أيضاً فإن المشاعر الروحانية، البناء الأسمي، والميزات الشخصية الفاضلة ربما تنتج سلوكاً دينياً عبر حالات وأزمنة في الحياة، وهذه لا تنفصل عن الحالات النفسية، بالإضافة إلى تأثير عوامل أخرى.

لقد كتبت (كويليكي): "أن هناك عدد متزايد من الباحثين المعاصرين يعبرون عن إعجابهم بقوة الدين الوقائية والعلاجية في مواجهة كافة الأمراض الإنسانية" وهي تعبر ذلك (بتبسيط أكثر جهد مضلل لعلاج الدين، وبتبسيط أكثر حقيقة فطرية مضللة).

لقد وضعت نقطة في مقالتي تبرز أن هناك نوعية من الإيمان المرتفع تؤكد دور الدين في التوافق، ولا استطيع إنكار أن قيمة الإيمان غير الوظيفية ليست واضحة وأن الاعتقاد بأن النفع غاية الفضيلة غير مؤكد، فلاشك أن الاحتياجات الدينية ليست تبريراً تطبيقياً. وقد اقتبست دفاعاً عن هؤلاء المؤلفين تجنب الإشارة إلى أن الأغلبية يعرفون طرقاً وأساليب للحياة الدينية والروحانية يمكن أن تؤدي للشفاء أو للألم، مثل (كوينج) (Koenig, 1998) ومن المهم أن نلاحظ على أي حال ذلك البعث العلمي الأخير الذي يهتم بعلم النفس الديني، والذي يستحق جزءاً ليس باليسير من الأدلة التجريبية للقضايا الدينية والروحية وارتباطها بالصحة النفسية والجسمية ومخرجاتها النهائية (Ellison & Levin, 1998) هذه الأدلة لتلك المؤسسات القوية يمكن أن تزيد من مصداقية ولياقة

البحث في الدين والروحانية في العلوم الاجتماعية والطبية. إن القيمة الأولية لتحليل (كويليكي) - في رأيّ - تكمن في تمييزها بين المفاهيم الروحانية والعلمانية في الحياة الطبية إنني متعاطف مع هذا البرهان في كتابي علمن نفس الأهداف القصوى: الدوافع والروحانية في الشخصية (Emmons, 1999) أنا لم أبحث فقط عن درجة التميز للجهد الروحاني فالأساس التقليدي للرفاهية النفسية مثل السعادة والرضا عن الحياة ربما غر كافة كمخرجات لقياس تأثير جهد الروحانية. إن الروحانية ربما ترقي الوظائف الصحية في بعض جوانب الحياة بينما هناك إجهاد للوظائف في الجوانب الأخرى. ولقد اقترحت تكامل (إنترابريسونال) تقاس في فترة لنظام متناغم بين وحدة الأهداف، القوة الذاتية تصبح أحد المخرجات التي تقيم إلى حد كبير في كلاً من التقاليد الدينية والعلمانية والدراسات التي تناولت تكامل الشخصية والرفاهية نادرة جداً وأعتقد الآن أن هناك خط واعد للبحث والاستقصاء في هذا المجال.

وقد عرف (سترينج) (Sternberg, 1976) الدين على أنه: "وسائل تحويل الشخص من التجزئة للتكامل ومن التشتت للاندماج:، "المعنى الغائي للتحول" وأبرز ذلك في: أن وعي الديانات يرتفع بالناس إلى درجات محتملة من وعي أشمل وأعم في أي لحظة عطاء مثل هذا الوعي أعلى من أن يكون مجرد إحساس بالراحة، وأيضاً من الممكن أن يكون غير سار رغم أنه لا يوجد دليل قاطع على ذلك.

(كويليكي) حثتنا على التغاضي عن ذلك التناقض الظاهري في مظهر الخبرة الروحانية. وإنني أؤكد أنه ولو أن هناك اختلاف واضح في الطرق فإن الخبرة الروحانية ترتفع بالتوحد في الشخص، حيث تنقذ روحه من الاضطراب والنزاع الداخلي، والهدف من قاعدة التدخل اللاهوتية والنفسية أن الدين يستثمر الوجود الإنساني مع المعنى لتأسيس الأهداف والأنظمة القيمية التي تتعلق بكل مظاهر الحياة الذاتية مع الجهد الذي يدفع الفرد إلى الاندفاع السلبي أو الإيجابي. ويكشف بشكل منظم كيف تكون "الحياة الجيدة".

أحد النتائج الدينية الرئيسية من خلال هذا العمل هي إعادة اختبار طرق التفكير التقليدية حول التوافق في الحياة، الحياة الناجحة والحياة المتفائلة.

إن ما أنجزته (كويليكي) يذكرنا بأن إهمال الإطار الروحي أو الدين في هذه المساعي سوف يمثل خطورة جدية.

(3) وبالنسبة لمقال (جاردنر) Gardner: Acare Against Spiritual Intelligences

فإن ما قدمه (جاردنر) من خلال نظريته في الذكاء المتعدد كان هو الأساس الذي أثار اهتمامي للسعي إلى استكشاف الروحانية كنوع من أنواع الذكاء واهتمامي هذا كان رد فعله العملي هو كتابة مقالي حول الذكاء الروحي.

ومقال (جاردنر) لم يحبطني أو يخيب ظني فـ (جاردنر) لمس كثيراً من الموضوعات المختلفة في مقالته، بعض منها يتداخل مع الموضوعات التي طرحها كل من (ماير) و (كويليكي).

وبعض من الاختلاف بين ما قدمته وما عرضه ينسب (جاردنر) إلى مناهجنا الثقافية المختلفة فقد صور نفسه "راسخ ومتمكن" بينما وصفني "ملاح متعطش"، مذنب أو معتدي.

إن جل علماء نفس الشخصية يتجهون لأن يكونوا ملاحون يعينون السفينة على الرسو. كما أن حقل الشخصية ربما يكون أكثر اتساعاً من أي مساحة لموضوعات أخرى في علم النفس، في الاستفادة بمآثر التقنيات الإحصائية في التحليل العاملي وتحليل الحزم. وعلى ذلك فأنني أفضل تصوير خلافاتنا على أنها

استخدام لمصطلحات مختلفة، على أية حال وفي لغة علم الأعصاب الإدراكي، فإن (هوارد جاردنر) كما أعتقد يميل إلى تكرار استخدام "فاعلية المعادلات الرياضية" (Aquili & Newberg, 1999) بينما أنا على الأرجح أكثر استخداماً لـ "فعالية محرك القدسية".

إن الأخصائيين العقليين طبقاً (لأكيولي ونيبروج) يستوعبون أغلب قواعد وظائف العقل. إنهم يدللون على أن عمل الشبكات العصبية فوق خبرة إدراك الحواس للتنظيم والإتقان، إنها الطريق الذي يمكننا من الاستجابة للحاجات الداخلية والخارجية.

إن العمليات المقدمة دائماً هي إدراك للنظرة الشاملة أو الفردية في حين أن تحليلات وعمليات المعادلات الإحصائية عناصر وأقسام مجزئة، فضلاً عن ذلك فإن فهم صحة تضمينات الجدل بين القدسية والمعاملات الرياضية يرتبط بفهم التميز بين الذكاء وميادينه، فإن الذكاء طبقاً لـ (جاردنر) "قدرة بيولوجية يمكنها تحليل بعض من المعلومات ببعض من الطرق، أما في الجانب الآخر فإن الذكاء هو "نشاط منظم في الثقافة يمكن بواسطته ترتيب الأفراد في مدى معين تبعاً لخبراتهم النسبية".

كما أن هذا التميز يساعد على توضيح الخلاف بين الروحانية والذكاء الروحي، إن الدين أو الروحانية ميدان يشير إلى الحقائق المتعالية المقدسة، أما الذكاء الروحي فهو إمكانية بيولوجية تستعمل ميدان المعلومات الروحية في تسهيل حل المشكلات. إنه المصدر الذي يمكن أن يرتبط بالمشاكل في الحياة. أن (جاردنر) قدم عدداً من أسئلة ملتوية للوصول إلى غرضه عن كيف لهذه المصادر الروحانية رسم وربما قيادة تحسين حل المشكلات. ولو أنني لا أستطيع تقديم عرض نهائي لأبعاد الذكاء الروحي إلا أنني في ضوء التعليقات فإنني أرى تعديلاً للقائمة الأصلية المكونة للذكاء الروحي متضمنة أربعة أبعاد هي:

1- طاقة أو قدرة السمو.
2- القدرة على الدخول في حالات روحانية عالية من الوعي.
3- القدرة على استعمال الروحانيات في الأنشطة اليومية وفي الأحداث والعلاقات.
4- القدرة على الانتفاع بالروحانية في مواجهة وحل مشكلات الحياة.

وقد عاد (جاردنر) ليشر للذكاء الروحي مرة أخرى في عام 1999 بإفادته "إنه منذ تسجيله لنظريته في الذكاء المتعدد (1983) فقد دار كثير من الجدل حول أنواع أخرى من الذكاء يرشحها الآخرون لتضمينها في قائمة الذكاء (أو حذف أنواع من القائمة) وانعكاساً لذلك فإنه من خلال بحث له ولزملائه تأملوا ثلاثة احتمالات رئيسية: الذكاء الطبيعي، الذكاء الروحي، الذكاء الوجودي. وقد استنتج (جاردنر) أن حالة تضمين الذكاء الطبيعي تظهر بصورة رائعة ومباشرة، أما فيما يتعلق بالذكاء الروحي فيرى (جاردنر) أن هناك أكثر من عقدة أمام تضمينه فهناك مشاكل كمثال محتوى الذكاء الروحي، ومدى التحقق من حقيقته وقيمته والحاجة له إلى تمييزهما بشكل جزئي من خلال تأثيرهما على الآخرين. وفيما يتعلق بالذكاء الوجودي فقد اعتبره (جاردنر) محرزاً لتقدم جديد وبشكل معقول، إلا أن دليله التجريبي مازال متعسراً مما يجعل ضمه للقائمة شيئاً محيراً، ومن ثم فإن (جاردنر) لا يرتب لضمه في الوقت الحاضر (Gardner, 1999).

إن سؤالي "هل الروحانية ذكاء" ربما لا يكون مطروحاً ليكون قابلاً للإجابة بشكل محدد، فإننا في حاجة إلى كثير من الأسئلة الأكثر تحديداً عن طبيعة مضمون القدرات العقلية، ولكن معنى مفهوم الحياة الروحانية كحياة (يوم جلاديس) (Gladys Day) أعطت تصوراً عن الأوجه المتعددة لتطبيق الروحانية، ونحن نحتاج إلى كل الأدوات النظرية في ترتيبنا لأن اقتراب أي منا بشكل ملائم يحدد الاستمرار في استكشافات إجابات الأسئلة المطروحة.

إن سر اختلاف (جاردنر) مع مفهوم الذكاء الروحي في البداية لأنه لم يكن يلمس له معايير محددة تميزه حيث يصف محتوى الذكاء الروحي كشأن للكون، لغز للوجود الإنساني، عنوان للأسئلة الغائبة، ألغاز ومعاني للحياة مثل: من نحن؟، من أين نجئ؟. وفي مفهوم (جاردنر) أن تلك التساؤلات صعبة ومثيرة للجدل، فمن خلال حسابات عديدة عن المملكة الروحانية نجد أن الذكاء الروحي يشير إلى العقل، والجسم، النفس، الطبيعية، ما وراء الطبيعة وأحياناً حتى إلى لاشيء. وقد وصف (جاردنر) ذلك بأنه تصور مفلطح (Conceptual Sprawl) يتنافى مع حدود العلم والتي تحدد بشكل نسبي ورأي (جاردنر) في ذلك أن أي مناقشة للروح سواء أكانت ممثلة للحياة الروحانية أو المسئولية الروحانية، المشاعر الروحانية أو النعم الدينية أو التصوف كل ذلك لا يعد ضمن العلم الأكاديمي والبيولوجية الذين يؤمنون بالأسئلة الطبيعية من خلال الروحانية يجب أن يودعوا هذه المسألة إلى المؤمنين الحقيقيين أو الدجالين.

إلا أن (جاردنر) عاد ليختبر أحاسين معرفيين كلاسيكين من عينة: "يعرف كيف" و "يعرف بأن" ومن خلال ذلك اعترف أن هناك مهارات ظهرت في الذكاء الروحي مثل "التأمل، التطور اللدني للحالات، الإدراك المتسمي، الاتصال الروحي أو العقلي الروحي" ومن هنا فقد رأي أنه يمكن أن يعتبر ذلك ذكاءً وجودياً بدلاً من الذكاء الروحي ولم يستسغ تعبير الذكاء الأخلاقي (Moral intelligence) حيث يعني تبني أي رموز أخلاقية محددة (Emmons, 2000b).

وجهة نظر المؤلف:

نحن لا نتفق هنا في البيئة المحلية العربية مع (جاردنر) في رأيه بخصوص الذكاء الروحي والأخلاقي والوجودي والطبيعي وتعتبر هذه أنواع جديدة ومستحدثة من الذكاءات ونضمها على السبعة ذكاءات الأصلية. بل ويفضل قيام طلاب الدراسات العليا العرب بتطوير أنواع أكثر حداثة من هذه الأنواع والتحقق من كونها ذكاءات أم لا في ضوء معايير الذكاءات المتعددة الثمانية للحكم بوجود وظهور نوعت جديد من الذكاءات المتعددة أم لها... ولمعرفة آراؤكم حول هذه القضية ومناقشتها معاً يمكن مراسلتي علي:

د. محمد عبدالهادي حسين

E-Mail: mohameddbdelhadi6@yahoo.com